

الملكات العقلية عند الشعراء المولدين

مؤمن جاسم العيسى

قسم اللغة العربية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق - سورية

الملخص

تتسم الشعراء المحدثون، منذ النشأة الأولى، شذا عرف العلم، فاختلّفوا إلى علماء أمصارهم يكتسبون معارف الزمان، فتأصلت علوم المتقدمين في أذهانهم، فإذا بهم يجتهدون في اللغة، ويقيمون الحجج والعلل فيما أبدعوه، ثم مضوا إلى موسيقا الشعر، فابتكروا أوزاناً لم تكن معروفة من قبل كالمقتضب، والمضارع، والمتدارك. وتجاوزت ثقافتهم العقلية حدود الجزيرة العربية إلى القرس واليونان والهنود ليأخذوا من علومهم ما يزيد أكلة شعرهم نماءً وجمالاً. وكان للمعتزلة، بترقيهم العقلي، ما قدم للشعراء مادة فلسفية غزيرة أغنوا بها معجمهم الشعري، ثم جاء بعد ذلك الشعر التعليمي كثمرة إبداع لقدرات ذهنية فذة عند المحدثين.

كلمات مفتاحية: الملكات العقلية - الشعراء المحدثون - المعجم الشعري.

١- ثقافة المولدين:

آ- الثقافة اللغوية وظهور الاجتهاد اللغوي عند بعض المولدين:

استطاع الشعراء المولدون أن يحووا حلبة السبق في ميادين اللغة، وساعدهم على ذلك رغبة، لا تثنين، في امتلاك ناصيتها، ورحلة طلائع فحولهم إلى البادية، وملاقاء ساقنتهم أعراباً فصحاء وفدوا إلى مزبد البصرة، وبغداد، وغيرها، وجهابذة علمائهم الذين جعلوا المعارف مطواعة لمن ألقى إليهم سمعه وهو بصير.

وأمام هذا المد العلمي والحضاري كان لا بد أن يترجم لنا المولدون الواقع باجتهادات منضبطة تصيب أحياناً، وتخطئ أخرى، شأن أي اجتهاد في علم من العلوم. نقل المرزباني أن الأختش «كان يطعن على بشر:»^١ (الكامل)

والآن أقصر من سُميئة باطلي وأشار بالوجل على مشير

وفي قوله: (الطويل)

على الغزلي مني السلام فربما لهوت بها في ظل مخضرة زهر

وقال: لم يسمع من الوجل والغزل «فعلى» وإنما قاسها بشر، وليس هذا

مما يقاس، إنما يعمل فيه بالسمع»^٢.

وقد قدم الدكتور شوقي ضيف تخریباً جيداً لذلك، فقال: «وقد مضوا

[اللغويون] يعثون عليهم سقطاتهم، وهي ليست سقطات بالمعنى الصحيح إذ هي في كثرتها إما ضرورات رآها الشعراء العباسيون في الشعر القديم، فقاموا عليها، وإما لغات شاذة رآوها أيضاً في هذا الشعر، وظنوا أن من حقهم مجاراتها، وإما

^١ - ديوان بشر بن برد، ط ١٩٥٤م، ٣/٢٩٨. جاء البيت في الديوان كما يلي:

فالآن أقصر عن سُميئة باطلي وأشار بالوجل على مشير

^٢ - ديوان بشر بن برد، ط ١٩٥٤م، ٣/٢٧٧.

^٣ - المرزباني: الموشح، ٣٨٤-٣٨٥.

اشتقاقات وأبنية استحدثوها على ضوء المعاييس اللغوية التي تلقوها»^١.
وقد دافع ابن قتيبة عن اجتهادات المولدين دفاعاً موضوعياً بعيداً عن
الانفعال والمبالغة، فقال: «وقد كان [أبو نواس] يلحن في أشياء من شعره لا أراه
فيها إلا على حجة من الشعر المتقدم، وعلى علة بيّنة من علل النحو، منها قوله:^٢
(المجنث)

فليت ما أنت واطٍ من الثرى لي رسماً

أما تركه الهمز في (واطٍ) فحجته فيه أن أكثر العرب تترك الهمز، وأن
قريباً تتركه، وتُبدل منه. وأما نصبه (رسماً) فعلى التمييز، والبغداديون يسمونه
التفسير. ألا تراه قال: فليت ما أنت واطٍ من الثرى لي، فتم الكلام وصار جواب
(ليت) في (لي)، ثم بين من أي وجه يكون ذلك، فقال: رسماً، أي قِبراً. كما تقول
في الكلام: لبست ثوبك هذا لي، ثم تقول: إزاراً. لأن جواب (لبست) صار في قولك
(لي) وصار الإزار تمييزاً. ومنها قوله:^٣ (المنسرح)

وصيف كأسٍ محدثه مَبِكٌ تيه مَعْنٌ وظرف زَبْدِي

فجزم محدثه لما تتابعت الحركات وكثرت.. وكما قال امرؤ القيس:^٤ (من السريع)
فاليوم أشرب غير مستحقبٍ إِثْمًا^٥ من الله ولا واجبلٍ

ومنها قوله في الخمر:^٦ (الطويل)

شمولٌ تخطئهُ المنونُ فقد أنتِ سنونٌ بها في دنها وسينونُ

^١ - ضيف، د. شوقي: العصر العباسي الأول، ١٤٢.

^٢ - لم أجد هذا البيت في ديوان أبي نواس.

^٣ - ديوان أبي نواس، ٣٤١.

^٤ - ديوان امرؤ القيس، ٢٥٨.

^٥ - غير حامل في موضع الحقيقة إثمًا [حاشية الديوان، ٢٥٨].

^٦ - ديوان أبي نواس، ٧٢.

تراث أناس عن أناس تُخرمُوا^١ توارثها بعدّ البنين بنون
 فرفع نون الجماعة، وهذا يجوز في المعتل، وقد أتى مثله، كأنه لما ذهب
 منه حرف صار كأنه كلمة واحدة، وصارت سنون كأنها منون، والمنون الدهر،
 وبنون كذلك».^٢

وربما كان هذا الاجتهاد إرضاء للذوق الشعبي العام «وأتصف شعر
 المولدين كذلك بسمات جديدة، خروجاً على بعض قواعد اللغة، ليتم صورته
 الشعبية، وغايته في السهولة والرفقة والوضوح».^٣

ب- الثقافة الموسيقية واجتهاد بعض المولدين في موسيقا الشعر العربي:
 تعدّ الموسيقا من الركائز الرنيمية في الشعر العربي الذي هو «قول موزون
 مقفى يدلّ على معنى»^٤. فالوزن هو القسطاس المستقيم للنظم، ولذيذه «يطرب الطبع
 الطبع لإيقاعه، وبمازجه بصفائه، كما يطرب الفهم لصواب تركيبه، واعتدال
 نظومه».^٥

وأما القافية «فيجب أن تكون كالموعود به المنتظر يتشوقها المعنى بحقه^٦،
 واللفظ بقسطه^٧، وإلا كانت قلقة في مقرها مجتلبة لمستغن عنها».^٨

^١ - تُخرمُوا: ماتوا.

^٢ - ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٤٩٥.

^٣ - خير بك، جلال: شعر العالمة في القرن الثاني الهجري، ٢٣٢.

^٤ - ابن جعفر، مقدمة: نقد الشعر، ١٧.

^٥ - المرزوق، أحمد بن محمد بن الحسن: شرح ديوان الحماسة، ١٠.

^٦ - يتشوقها المعنى بحقه: أي يقتضيها، فجعل التضام معنى البيت للقافية كالتشوق، وهو شدة الشوق، وجعل ذلك الشوق ملائماً للحق، أي يتشوقها تشوقاً حقاً.

^٧ - بقسطه: أي بحظه من البيت.

^٨ - شرح ديوان الحماسة، ١١.

أما العلاقة بين الغرض الشعري والموسيقا فهي أشبه ما تكون بتلازم الجسد والروح، إذ إنه «لما كانت أغراض الشعر شتى، وكان منها ما يقصد به الجذ والرصانة، ومنها ما يقصد به الهزل والرشاقة ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم، وما يقصد به الصغار والتحقير، وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان، ويخيلها للنفوس، فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضع قصداً هزلياً أو استخفافياً، وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كل مقصد. وكانت شعراء اليونانيين تلتزم لكل غرض وزناً يليق به، ولا تتعداه فيه إلى غيره»^١.

وقد فقه الشعراء المولّدون هذا العلم لجملة من الأسباب أبرزها: أنه قد تأصل على يد الفراهيدي في القرن الثاني الهجري، واستحوذ الغناء على اهتمام العباسيين خاصتهم وعامتهم، ورغبة الشعراء المحدثين أن يكونوا متميزين عن سلفهم في هذا الفن.

أما تأصيل هذا الضرب من الفنون، فقياسه مستمد من الشعر القديم، وقد حافظ المولّدون عليه، ونظموا على أنغامه فرائد قصائدهم.

وأما هيمنة الغناء على المجتمع العباسي، فتأثيره بعيد في الشعر والشعراء «فقد كان هؤلاء المغنّون والمغنّيات يغنون في الشعر الحديث: شعر بشار، ومطيع ابن إياس، وأضرابهما، فينشرونه في العراق كما تنتشره الجوارح في البلاد العربية اللاتي ينزلن بها. واندفع الشعراء ينظمون تلك المقطوعات، مثيرين فيها خواطر الحنن وما يتصل به من ليو، ومجون، وعبث، وخر»^٢.

وأما البحث عن شخصيّة ينفردون بها عمّن تقدمهم فقد ظهر جلياً عند أبي

^١ - القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ٢٦٦.

^٢ - ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ٦٣.

العتاهية، الذي سئل: «هل تعرف العروض؟ فقال: أنا أكبر من العروض. وله أوزان لا تستعمل في العروض»^١. وهذا الخبر يبرّج رغبة التميّز على خلاف ما ذهب إليه ابن قتيبة حين قال عن أبي العتاهية «وكان لسرعته، وسهولة الشعر عليه ربّما قال شعراً موزوناً يخرج به عن أعاريض الشعر، وأوزان العرب»^٢.

إنّ العقلية الفذة للمولدين، وإيمانهم بالإبداع المنضبط فتحت لهم باب الاجتهاد في هذا العلم على مصراعيه، فاستحدثوا أوزاناً جديدة تلبّي المدّ الحضاريّ الذي لم يُعرف من قبل «ولا شك أن رحابة الحياة، وفيضها، وتغيّر الظروف والأذواق، وعبقريّة الإنسان، ومواهبه أوسع من أن تحصرها حدود مرسومة، وقوالب مسكوبة مصنوعة أيّاً كان جمالها ومرونتها، ولذلك لم يطق المولّدون أن يلتزموا تلك الأوزان الموروثة من العرب، فأحدثوا أوزاناً جديدة كثيرة الأشكال شاعت إذ ذاك في مختلف البلاد العربيّة والإسلاميّة»^٣.

ومن الأوزان التي استحدثها العباسيون المقتضب والمضارع^٤. ومن أمثلة

المقتضب قول أبي نواس^٥:

حاملُ الهوى تعبٌ	يستخفُّ الطربُ
إن بكى بحقُّ له	ليس ما به لعبٌ
تضحكين لاهيةً	والمحبيبُ ينتحبُ
كلّما انقضى سببٌ	منك جاعني سببٌ

^١ - الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ١٣/٤.

^٢ - الشعر والشعراء، ٤٧٥.

^٣ - الياقبي، د. عبد الكريم: دراسات فنيّة في الأدب العربي، ١٤٥.

^٤ - ضوف، د. شوقي: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ٧٢.

^٥ - ديوان أبي نواس، ١٨٤.

تعجبين من مسقي صحتي هي العجب
ومن أمثلة المضارع قول أبي العتاهية:^١

أيا عتب ما يضررك أن تطلقني صلفادي
واستحدثت المولدون وزن المتدارك^٢، ومن أمثله قول أبي العتاهية:^٣
همُ القاضي بيتٌ يُطرب قال القاضي لما طوَّكب
ما في الدنيا إلا مُذنب هذا عُذْرُ القاضي وأقلب

ومن الأشياء التي استحدثوها في موسيقا الشعر العربي ما يسمى بالمقطع.
ويقال: «إن أول من ابتدع ذلك سلم الخاسر، يقول في قصيدة مدح بها موسى
الهادي:^٤

موسى المطر عيبتُ بكرُ ثم انهمرُ ألوى المررُ
كم اعتمر ثم ايتسر وكم قدر ثم غفر
عدلُ السير باقي الأثر خيرُ وشرف نفع وضر
خيرُ البشر فرغ مُضر بدرٌ بدر والمفتخر
لمن غير»^٥

ج- الثقافة المعرفية بالشعوب القديمة:

١- اليونان:

كان اليونانيون ذوي أذهان بارعة، ولا يشتغلون بمكاسب الآلات والأدوات،

^١ - المعري، أبو العلاء: الفصول والنهايات، ١٧٥. لم أجده في ديوان أبي العتاهية.

^٢ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ٧٣.

^٣ - أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تكملة الديوان، ٥٠٠.

^٤ - عربناوم، عوستاف فون: شعراء عيلانيون، ٩٩.

^٥ - الفيرواني، ابن رشيق: المعنى، ١٦٠.

وهم أصحاب حكمة ولم يكونوا عملة؛ كانوا يصورون الآلة، ولا يخرطون الأداة، يشيرون إليها ولا يمتنونها، يرغبون في التعلّم، ويرغبون عن العمل.¹

لقد تأثر المولّدون بحكم الإغريق، ونظموا بعضها شعراً. فقد روي أنه لما مات علي بن ثابت - وكان صديقاً لأبي العتاهية - بكاه الأخير بكاء طويلاً، ثمّ أنشد يقول:²

(الخفيف)

يا شريك في الخير قرّبك اللـ
فد لعمرى حكيت لي غصص المو
ة فنعّم الشريك في الخير كنتا
ت فحركتني لها وسكنتا

ولما دفن وقف على قبره مرتداً:³ (الوافر)

الا من لي بأنيك يا أخيا
طوتك خطوب دهرك بعد نشر
فلو نشرت قواك لي المنايا
بكيتك يا أخي بدمع عيني
وكانت في حياتك لي عظام
ومن لي أن أبك ما لدنيا
كذلك خطوبه نشراً وطيا
شكوت إليك ما صنعت إلينا
فلم يغن البكاء عليك شيا
وانت اليوم أوعظ منك حيا

وقال الأصفهاني: «هذه المعاني أخذها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الإسكندر، وقد أخرج الإسكندر ليُدفن، قال بعضهم: الملك أمس أهب منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس. وقال آخر: سكت حركة الملك في لذاته وقد حركنا اليوم في سكونه جزعاً لفقده. وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما

¹ - الراهب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ١/١٩٣.

² - أبو العتاهية لشعاره وأخباره، ٧٠.

³ - المصدر نفسه، ٤٤٢.

أبو العتاهية في هذه الأشعار»^١.

ويعزو بعض النقاد المحدثين شعر الحكمة عند المولدين إلى مرجعية قديمة أخذت عن اليونان وغيرهم: «وأكبر الظن أن هذه الحكمة التي عُرفوا بها [المولدون] لا تعدو أن تكون في معظمها تضميناً للقواعد الأخلاقية المأخوذة عن اليونانيين والفرس والعرب مما يتصل بأداب السلوك، والمعاملة، والنظرة إلى شؤون الحياة عامة»^٢.

٢- الهند:

ولهم معرفة الحساب والنجوم، والخطّ الهندي، وأسرار الطب، وعلاج فاحش الأدوية، وعلم الأوهام، وخرط التماثيل، ونحت الصور، وطبع السيوف، والشطرنج.^٣

وكان أبو نواس من الذين نظروا إلى معارف الهند، وزين بها شعره؛ ومن ذلك علم النجوم. قال ابن قتيبة: «وكان أبو نواس متقناً في العلم قد ضرب في كل نوع منه بنصيب، ونظر مع ذلك في علم النجوم بذلك على ذلك قوله:^٤
(المنسرح)

ألم ترَ الشمسَ حَلَّتِ الحَمَلا وقام وزنُ الزمانِ فاعَدَلا
وغنَّتِ الطيرُ بعدَ عَجَمَتِها واستوقفتِ الخمرُ حولها كَمَلا

... والذي عندي فيه أن (الهاء) في قوله: (حولها) كناية عن الشمس لا عن الخمر.. ومعنى استيفانها حول الشمس أن الله تبارك وتعالى خلق الفلك، والنجوم،

^١ - الأملاني، ٣٦/٤-٣٧.

^٢ - عيس، د. إحسان: ملامح يونانية في الأدب العربي، ١٣٦.

^٣ - محاضرات الأديب ومحاورات الشعراء والبلغاء، ١/١٩٤.

^٤ - ديوان أبي نواس، ٦٨.

والشمس برأس الحمل، والنهار والليل سواء، والزمان معتدل في الحرّ والبرد، فكُلّما حلّت الشمس برأس الحمل فقد مضت سنة على العالم، واستوفت الخمر حول الشمس كمالاً»^١.

وأشدّ أبو نواس في الخمر: ^٢ (مخلع البسيط)

تُخَيَّرت والنجومُ وَقَفَّ
لم يَتَمَكَّنْ بها المدارُ

«يريد أن الخمر تُخَيَّرت حين خلق الله الفلك، وأصحاب الحساب يذكرون أن الله تعالى حين خلق النجوم جعلها مجتمعة واقفة في بُرْج، ثم سَيرها من هناك، وأنها لا تزال جارية حتى تجتمع في ذلك البرج الذي ابتدأها فيه، وإذا عادت إليه قامت القيامة، وبطل العالم. والهند تقول: إنها في زمان نوح اجتمعت في الحوت إلا يسيراً منها فهلك الخلق بالطوفان، وبقي منهم ما بقي منهم خارجاً عن الحوت»^٣.

وقال أبو نواس^٤: (المنسرح)

قُلْ لزهيرٍ إذا حَسداً وشداً
أقلل وأكثُر فأنت مبهذار
سَخَّنتَ من شِدَّة البرودة حتى
صرتُ عندي كأنك النارُ
لا يعجب السامعون من صفتي
كذلك الثلجُ باردٌ حَسارُ

«وهذا الشعر يدل على نظره في علم الطبائع، لأنّ الهند تزعم أن الشيء إذا أفرط في البرد عاد حاراً مؤذياً»^٥.

٣- الفرس:

ولهم العقول والأحلام، والسياسة العجيبة، وترتيب العلوم، والمعرفة

^١ - الشعر والشعراء، ٤٨٠-٤٨١.

^٢ - ديوان أبي نواس، ٧٦.

^٣ - الشعر والشعراء، ٤٨١.

^٤ - ديوان أبي نواس، ٤١١.

^٥ - الشعر والشعراء، ٤٨٣.

بعواقب الأمور، ولهم من اللغات ما لا يحصى^١. ومن الشعراء الذين تأثروا بفارس وحضارتها أبو نواس الذي دعا إلى الوقوف عليها ومعرفة أسرارها:^٢

(مجزوء الوافر)

دع الرسم الذي دثرا يقاس الريح والمطرا
وكن رجلاً أضاع العـ م في اللذات والخطرا^٣
لم تر ما بنى كسرى وسابور لمن عبرا
منارة بين دجلة والـ فرات تغيات شجرا

٢- تأثير متكلمي المعتزلة في شعر المولدين ومقدمات معجم شعري فلسفي في النظم العربي:

للمعتزلة أصول وفروع فيما ذهبوا إليه، أما الأصول فهي خمسة:

- ١- القول بالتوحيد، وفيه أن الله واحد لا شريك له من أي جهة كان.
 - ٢- القول بالعدل، وفيه أن الله لا يحب الشر والفساد.
 - ٣- القول بالوعد والوعيد، وفيه أن الله صادق في وعده ووعيده.
 - ٤- القول بالمنزلة بين المنزلتين، وفيه أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ولكنه فاسق.
 - ٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه إقامة حدود الله.^٤
- أما فروعهم فهي كثيرة، منها: الكلام في الجواهر والأعراض، والكلام في الكمون، والكلام في الجزء الذي لا يتجزأ، والكلام في التولد...
- وقد تأثر الشعراء المولدون بالفكر المعتزلي الذي ساد القرن الثاني

^١ - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ١/١٩٣.

^٢ - ديوان أبي نواس، ٤١٩.

^٣ - الخطر: الشرف.

^٤ - غثيم، علي فهمي: النزعة العقلية في تفكير المعتزلة، ٥٦.

الهجري، فنسجوا بعضاً من مصطلحات المتكلمين في أشعارهم.
فالجواهر والأعراض مثلاً كانت موضع خلاف بين المتكلمين أنفسهم، فمنهم من ذهب إلى أنه ليس في العالم إلا جسم، وأن الألوان والحركات أجسام، والجسم إذا كان طويلاً عريضاً عميقاً فمن حيث وجدته وجدت اللون فيه، فوجب الطول والعرض والعمق أيضاً فإذا وجب ذلك للون، فاللون أيضاً طويل عريض عميق، وهذا يعني أن اللون جسم. وذهب آخرون إلى مثل هذا سواء بسواء إلا الحركات فهي عرض. وذهب فريق ثالث إلى أن الأجسام مركبة من الأعراض.^١

وقد أترك أبو العتاهية ذلك، وذهب مع الفريق الأول في رأيه، فقال: (من الرجز)

لكل شيء معدنٌ وجوهرٌ وأوسطٌ وأصغرٌ وأكبرٌ

وكلُّ شيءٍ لاحقٌ بجوهره أصغره متّصلٌ بأكبّره

وأما الكمون فإن طائفة ذهبت إلى أن النار كامنة في الحجر، وذهبت أخرى إلى إبطال هذا، وقالت إنه لا نار في الحجر أصلاً.^٢ وقد أخذ أبو نواس بالرأي الأول ووظفه في هجاء أحدهم، قائلاً: (المديد)

كمن الشنان فيه لنا ككمون النار في حجره

وأما التولد، فقد اختلفوا فيمن رمى سهماً فجرح به إنساناً أو غيره، وفي حرق النار، وتبريد الثلج، وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات، فقالت طائفة: ما تولد من ذلك من فعل إنسان أو حيّ فهو فعل الإنسان والحيّ. واختلفوا فيمن تولد من غير حيّ، فقالت طائفة: هو فعل الله تعالى. وقالت أخرى: ما تولد من غير حيّ

^١ - الظاهري، ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١٩٣/٥.

^٢ - أبو العتاهية لشعاره وأخباره، ٤٤٩.

^٣ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١٨٤/٥.

^٤ - ديوان أبي نواس، ٣٢٦.

فيو فعل الطبيعة. وقال آخرون: كل ذلك فعل الله عز وجل.^١
لقد أخذ أبو نواس هذا المصطلح، وذكره في إحدى غزلياته، فقال:^٢ (المجث)

وذات خذ مؤرد	فئانة المتجرّد
تأمل الناس منها	محاسناً ليس تنفد
فبعضه في انتهاء	وبعضه يتولد
وكلما عدت فيه	يكون بالعود أحمد

قال الجاحظ معللاً استخدام أبي نواس ألفاظ المتكلمين في شعره: «وقد تحسن أيضاً ألفاظ المتكلمين في مثل شعر أبي نواس وفي كل ما قالوه على وجه النظر والتملح».^٣

وأما الجزء الذي لا يتجزأ، فقد ذهب جمهور المتكلمين إلى أن الأجسام، تتحل إلى أجزاء صغار، ولا يمكن البتة أن يكون لها تجزؤ، وأن تلك الأجسام جواهر لا أجسام.^٤ وممن ورد عنده نكر الجزء الذي لا يتجزأ من المؤندين أبو نواس إذ قال:^٥

يا عاهد القلب عني	هلاً تذكرت حلاً
تركت مني قليلاً	من القليل أقل
يكاذ لا يتجزأ	أقل في اللفظ من لا

وبروي أن النظام عندما أنشد هذه الأبيات، قال لأبي نواس: «أنت أشعر الناس في هذا المعنى، والجزء الذي لا يتجزأ منذ دهرنا الأطول نخوض فيه، ما

^١ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١٨٢/٥.

^٢ - ديوان أبي نواس، ١٨٧.

^٣ - الجاحظ: البيان والتبيين، ١٤١/١.

^٤ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٢٢٣/٥.

^٥ - ديوان أبي نواس، ٢٩١.

خرج فيه لنا من القول ما جمعته أنت فيه في بيت واحد^١.

وقدم متكلمو المعتزلة أشعاراً منطقية راقية، من ذلك هذه الأبيات لبشر بن المعتمر، وفيها يعلي شأن أهل العلم الذين أرسوا قواعد السلامة في الحياة، وينصح الإنسان باتباعهم:^٢

(مجزوء الكامل)

إن كنت تعلم ما أقول	ل وما تقول فأنت عالم
أو كنت تجهل ذا وذا	ك فكن لأهل العلم لازم
أهل الرياسة من يُنـ	ازعهم رياستهم فظالم
سهرت عيونهم وأنـ	ت عن الذي قاسوه حالم
لا تطلبن رياسة	بالجهل أنت لها مخاصم
لولا مقامهم رأينـ	ت الدين مضطرب الدعائم

قال الدكتور عز الدين إسماعيل بعد ذكره الأبيات السابقة: «المعتزلة إذن هم - كما يقول بشر - أهل العلم ومن انتهت إليهم الرياسة فيه، لا ينازعهم فيها إلا ظالم، على أنهم لم يكتسبوا هذا الفضل إلا بالعناء والسهر والمكابدة، فهذا شأن من طلب العلم والنقد فيه وهم أخيراً المنافعون عن عزة الدين وتماسك بنيانه، ولولاهم لتضعضع في النفوس»^٣.

إن أشعار المتكلمين، وما جاؤوا به من فكر، وتأثير ذلك في أشعار المولدين ليضع نواة شعر منطقي لم يجمع بين دفتي كتاب، وهذا المعجم يقترب من المدلول اللغوي لكلمة الشعر، وهو يخاطب الإدراك المنضبط أولاً، ثم الجمال الشعوري. وبذلك ينقل الشعر العباسي إلى مرحلة جديدة لم تكن شائعة من قبل.

^١ - مختار الأغاني، ٩١/٣.

^٢ - الشريف المرتضى: أمالي المرتضى، ١٩٥/١.

^٣ - إسماعيل، عز الدين: في الأدب العباسي، ٢٣٦.

٣- الشعر التعليمي ثمرة إبداع العقلية الفذة للمولدين:

إن الشعراء المولدين قد تأثروا بالحضارات الوافدة، وما قدمه علماء القرن الثاني من معارف وعلوم مختلفة، فكان لا بد أن يشاركوا بتلك الانتفاضة العلمية شعراً يكشف لنا الثراء العقلي الذي بلغوه، ويقدم العلوم بأسلوب شائق تشتيبه الألباب، فالعلم شهوة ويقدرها يكون النفاذ. وأبرز العلوم التي نظمها المولدون:

١- الفقه:

وممن نظم في الفقه أبان بن عبد الحميد اللاحقي، فقال يذكر الصيام وأحكامه
الفقهية المختلفة، وقد أسند تلك الأحكام إلى الكتاب والحديث والقياس: (من الرجز)

هذا كتاب الصوم وهو جامع	لكل ما قامت به الشرائع
من ذلك المنزل في القرآن	فضلاً على من كان ذا بيان
ومنه ما جاء عن النبي	من عهده المتبع المرضي
صلى الإله وعليه سلماً	كما هدى الله به وعلماً
وبعضه على اختلاف الناس	من أثر ماضٍ ومن قياس
والجامع الذي عليه صاروا	رأي أبي يوسف مما اختاروا
قال أبو يوسف أما المفترض	فرمضان صومه إذا عرض
والصوم في كفارة الأيمان	من حيث ما يجري على اللسان
ومعه الحج وفي الظهار ^١	الصوم لا يُدفع بالإنكار
وخطأ القتل وحلق المحرم	لرأسه فيه الصيام

^١ - ج. هيوث. دن، أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق، ٥١.

^٢ - الظهار: هو أن يشبه الرجل زوجته بامرأة محرمة عليه.. كان يقول لها: أنت علي كظهي لتي أو اختي، أو يحذف كلمة علي. [الرحيل، ٢، وهدية، الفقه الإسلامي وأدلته، ٩/٧١٢٤].

٢- القصص القديمة:

نقل أبان بن عبد الحميد ما جاء من قصص وعظيمة عن كتاب «كليلة ودمنة» الهندي، فبدأ قصيدته بتعريف الكتاب المنقول عنه: ^١ (من الرجز)

هذا كتاب أدبٍ ومحنة وهو الذي يُدعى كليلة دمنه
فيه دلالاتٌ وفيه رشدٌ وهو كتابٌ وضعته الهند
فوصفوا آداب كلِّ عالمٍ حكايةً عن أسن البهائم

ثمّ قَدِمَ مجموعة من النصائح والتجارب والعبير مستخدماً الصور التشبيهية بالحيوان، وأخرى على السنة البهائم أنفسها: ^٢

وإن من كان نسيء النفس يرضى من الأرفع بالأخس
مثل الكلب والشقي البائس يفرح بالعظم العتيق اليأس
وإن أهل الفضل لا يرضيهم كالأسد الذي يصيد الأرنبا
فيرسل الأرنب من أظفاره والكلب من رقبته ترضيه
ومن يعش ما عاش غير خامل فهو وإن كان قصير الغمر
ومن يعش في وحشة وضيق وهو وإن عُمر طول دهره
ليس بمغبوط بطول عُمره

^١ - أخبار الشعراء المحققين من كتاب الأوراق، ٤٦-٤٧.

^٢ - أخبار الشعراء المحققين من كتاب الأوراق، ٤٨-٤٩.

وتستمر القصيدة على هذا النهج إلى نهايتها.

٣- الحشرات والحيوان والوحش:

نظم بشر بن المعتمر قصيدتين ذكر فيهما الحشرات وأصناف الحيوان والوحش. قال الجاحظ يصفهما: «فإن له في هذا الباب قصيدتين، قد جمع فيهما كثيراً من هذه الغرائب والفرائد، ونبه بهذا على وجوه كثيرة من الحكمة العجيبة، والموعظة البليغة. وقد كان يمكننا أن نذكر من شأن هذه السباع والحشرات بقدر ما تتسع له الرواية، من غير أن نكتبهما في هذا الكتاب، ولكنهما يجمعان أموراً كثيرة، أما أول ذلك فإن حفظ الشعر أهون على النفس، وإذا حفظ كان أعلق وأثبت، وكان شاهداً. وإن احتيج إلى ضرب المثل كان مثلاً. وإذا قسمنا ما عندنا في هذه الأصناف، على بيوت هذين الشعريين، وقع ذكرهما مصنفاً فيصير حينئذ أنق في الأسماح، وأشد في الحفظ». ^١ يبدأ بشر قصيدته الأولى بروية سوداء للناس، وقد شبههم في تكالبيهم على متاع الدنيا بذباب ينهش بعضها بعضاً: ^٢ (الرجز)

الناس دأباً في طلاب الغنى وكلهم من شأنه الخثر^٣
كساذوب تنهشها أنوب^٤ لها غواة ولها زفر^٥

ثم يشرع بوصف الكائنات غير العاقلة، ومما قاله: ^٦

وكيف لا أعجب من عالم حشوته^٧ التأسيس^٨ والدغر^٩

^١ - الجاحظ، الحيوان، ٢٨٤/٦.

^٢ - المصدر نفسه، ٢٨٤/٦.

^٣ - الخثر: الغدر.

^٤ - يقال زفر زفراً وزفيراً: أخرج نفسه بعد مدة إياه.

^٥ - الحيوان، ٢٨٦/٦.

^٦ - الحشوة: جميع ما في البطن عدا اللحم، ومن الناس رذالهم.

^٧ - التأسيس: الإغظة.

وَحِكْمَةً بِيصْرُهَا عَاقِلٌ ^١	لَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهَا سَتْرٌ
جَرَادَةٌ تَخْرُقُ مَتْنَ الصَّفَا ^٢	وَأَبْغَثُ يَصْطَاطِدُهُ صَقْرٌ
سِلَاحُهُ رَمْحٌ فَمَا عِذْرَةٌ	وَقَدْ عَرَاهُ دُونَهُ الدُّعْرُ
وَالسِّدْبُ وَالْقِرْدُ إِذَا عَلَّمَا	وَالفَيْلُ وَالكَابِئَةُ وَالْيَعْرُ ^٣
يُحْجِمُ عَنْ فِرْطٍ أَعَاجِبِهَا	وَعَنْ مَدَى غَايَاتِهَا السَّحْرُ
وِظْبِيَّةٌ تَخْضُمُ ^٤ فِي حَنْظَلٍ	وَعَقْرَبٌ يُعْجِبُهَا التَّمْرُ
وَحَنْفَسٌ يَسْعَى بِجَعْلَالِيهِ ^٥	يَقْوُتُهَا الْأُرُوَاثُ وَالْبَعْرُ
يَقْتُلُهَا الْوَرْدُ وَتَحِيَا إِذَا	ضَمَّ إِلَيْهَا الرُّوْثُ وَالْجَعْرُ ^٦
وَقَارَةُ الْبَيْشِ ^٧ إِمَامٌ لَهَا	وَالْخُلْدُ ^٨ فِيهِ عَجِيبٌ هُنْرُ ^٩

ثم يحول الشاعر مسار القصيدة إلى منحى آخر منزلتها المعتزلة من المثالب التي استحوذت على غيرهم فيقول:^{١٠}

لسنا من الحُصو الجفأة الألسى
عابوا الذي عابوا ولم يدروا

^١ - الذعر: توثب المختلس ودفعه نفسه على المتاع ليختلسه.

^٢ - الصفا: جمع صفاة، وهو الحجر العريض الأملس.

^٣ - اليعر: الشاة أو الجدي.

^٤ - تخضم: تأكل بجميع قماها.

^٥ - الجعلان: جمع جمل، اللجوج.

^٦ - الجعر: ما يبس في الدبر من العنزة.

^٧ - البيش: اسم موضع.

^٨ - الخلد: ضرب من الفأر.

^٩ - الهنر: الأمر العجيب، والذاهية.

^{١٠} - الحيوان: ٢٩٠/٦.

إن غبت لم يُسلمك من تهمّةٍ وإن رنا فلحظّة شزرٍ
يُعرض إن سألته مذبراً كأنما يلعبه الذبّر^١

وله قصيدة أخرى يُعلي من العقل إلى درجة التقديس، فيقول:^٢

(السريع)

لله درُّ العقل من رائدٍ وصاحب في العُسرِ واليسرِ
وحاكم يقضي على غائبٍ قضيةً الشاهد للأمرِ
وإن شينا بعض أفعاله أن يفصل الخير من الشرِّ
بذي قوى قد خصه ربُّه بخالص التقديس والسطرِ

٤ - الأمثال:

ومن الشعراء الذين نظموا في الأمثال أبو العتاهية؛ حيث قَدِمَ أرجوزة طويلة بدأها بحمد الله والثناء عليه^٣: (الرجز)

الحمدُ لله على تقديره وحسن ما صرقت من أمورِهِ
الحمدُ لله بحسن صنعه شكراً على إعطائه ومنعه
بخير للعبد وإن لم يشكراً ويستُرُّ الجهل على من يُظهره

ثم دعا الإنسان إلى القناعة ونبذ الطمع^٤:

حسبك مما يتغيبه القوتُ ما أكثر القوت لمن يموت

^١ - بلسيه: يلسعه.

^٢ - الذبّر: جماعة للنحل والزنابير.

^٣ - الحيوان، ٦/٢٩٢.

^٤ - أبو العتاهية أشعاره وأشعاره، ٤٤٤-٤٤٥.

^٥ - المصدر نفسه، ٤٤٦.

إن كان لا يُغنيك ما يكفيك
فكل ما في الأرض لا يُغنيك
الفقرُ فيما جاوز الكفافا
من عَرَفَ الله رجاء وخافا
إن القليل بالقليل يكثرُ
إن الصفاء بالقذى ليكثرُ

كذلك إلى المحافظة على الصداقة وإصلاح النفس:¹

من لم تصلُ فارضاً إذا جفاكا
لا تقطعن للهوى أخاكا
الله حسبي في جميع أمري
به عنائي وإليه فقري
لن تُصلح الناس وأنت فاسد
هيهات ما أبعد ما تُكابد

ثم تمضي الأرجوزة في ضرب الأمثال الحكيمية دون ترتيب في الموضوعات، أو منهجية واضحة؛ فقد يذكر الموت والحياة في موضع، ثم يذكرهما في مكان آخر، وهكذا.

إن الشعر التعليمي ليهتم بالمفردة في سياق الخطاب الذهني أكثر من البيان الجمالي، فهو يسعى إلى تيسير حفظ العلوم المختلفة عن طريق المتون المنظومة، والتي هي أسهل من النثر في تقييد المعارف في خزائن الألباب. نجد مما تقدم أن الشعراء المحدثين قد حذقوا علوماً مختلفة حتى استحالت عندهم إلى ملكات، أفاد منها الشعر العربي، فظهر عندهم الاجتهاد اللغوي، كذلك ابتداع أوزان شعرية جديدة لم تكن معروفة من قبل، كما عاجوا على بعض حكم اليونان، ومعارف الهنود، وعلوم الفرس المتنوعة، والفلسفة المعتزلية، وحوّلوا إلى أشعار راقية، وقدموا شعراً تعليمياً مبتكراً لم يعرفه المتقدمون.

¹ - أبو العتاهية أشعاره وأخباره، ٤٤٦.

المصادر:

- ١- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم، أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق د. شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، ط١٩٦٥م.
- ٢- أبو نواس، الحسن بن هاني، ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢٠٠٧م.
- ٣- إسماعيل، عز الدين، في الأدب العباسي، دار النهضة العربية، بيروت، ط١٩٧٥م.
- ٤- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨م.
- ٥- امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٣، (د.ت).
- ٦- ابن برد، بشر، ديوان بشر بن برد، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١٩٥٤م.
- ٧- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، (د.ت).
- الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، (د.ت).
- ٨- ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، (د.ت).
- ٩- ج. هيورث، دن، أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

- ١٠- ابن حزم الظاهري، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر، د. عبدالرحمن غميرة، مكتبة عكاظ، السعودية، ط١، ١٩٨٢م.
- ١١- خثيم، علي فهمي، النزعة العقلية في تفكير المعتزلة، الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، ط٢، ١٩٧٦م.
- ١٢- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق د. عمر الطباع، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- ١٣- الزحيلي، د. وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط٤، ٢٠٠٤م.
- ١٤- الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي، أمالي المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، ط٢٠٠٥م.
- ١٥- ضيف، د. شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، مصر، ط٩، (د.ت.).
- العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ط١٤، (د.ت.).
- ١٦- عباس، د. إحسان، ملامح يونانية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (د.ت.).
- ١٧- غرنباوم، غوستاف فون، شعراء عباسيون، أعاد تحقيقها د. محمد يوسف نجم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت.).
- ١٨- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق د. مفيد قميحة، ومحمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.
- ١٩- القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م.

- ٢٠- المرزباني، محمد بن عمران، الموشح، تحقيق محمد علي البجاوي، دار
نهضة مصر، ط١٩٦٥م.
- ٢١- المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن، شرح ديوان الحماسة، نشره أحمد
أمين، عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٥١م.
- ٢٢- المعري، أبو العلاء أحمد بن سليمان، الفصول والغايات في تمجيد الله
والمواعظ، تحقيق محمود حسن زياتي، الهيئة المصرية للطباعة والنشر،
ط١٩٧٧م.
- ٢٣- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، مختار الأغاني في الأخبار
والتهاني، تحقيق عبد العليم الطحاوي، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط
١٩٦٦م.
- ٢٤- اليافي، د. عبدالكريم، دراسات فنية في الأدب العربي، مطبعة دار الحياة،
ط١، ١٩٦٣م.

Summary

Mental abilities at the Molladens poets

The early poets of Abbasi era had breathed the fragrance of science since their childhood. They received their sciences from the scholars of their countries and realized the sciences of those who preceeded them, therefore, they became well-informed in language and made evidences of what they invented, then moved to poetry rhythm. They invented meters that were unknown before, such as Maktathab, Modara'a and Al Motdark. Their mental education exceeded the borders of Arab Peninsula to Persia, Greek and India to take from their sciences things that give more beauty to their poetry. Al Maatazela with their mental richness presented to poets a great philosophical subject that enriched their poetic dictionary, then the educated poetry came after that as a result of mental abilities of Al Molladeen.

Key words: mental abilities , the early poets , the poetic dictionary